سلسلة مقالات القديس الانبا ساويرس
البطريرك الانطاكي
(٨)

من هوا عظم في ملكوت السموات

مليكه حبيب يوسف
يوسف حبيب

سلسلة مقالات ابونبا ساويرس

البطريرك الانطاكى

٨

مقال القديس أنبا ساويرس

عن كلمة الانجيل : « فى تلك الساعة تقدم التلاميذ إلى يسوع قائلين فمن هو أعظم فى ملكوت السموات (مت١٨: ١)

مترجم عن الفرنسية من الكتاب الثانى من الجزء العشرين من مجموعة

Patrologia Orientales R. Graffin — F. Nau

Les Homélies Cathédrales de Sévère d'Antioche

Homélie LXXXII

Publiée par Maurice Brière, Paris

بسم الآب والابن والروح القدس
الاله واحد آمين

غبطة ابينا المكرم الانبا كيرلس السادس
بابا وبطريرك الكرازة المرقسية

مقدمـــة المقـال

ان مائدة روحية غزيرة من الكتب الانجيلية تدفعنى من جديد الى الاستمتاع بالافكار الالهية الموضوعة فى الكلمات المقدسة ، وهى إذ تجعل عين عقل الباحثة بالاخص فاحصـــة وخارقة تقول : « افتح عينيك تشبع خبزاً » (ام ٢٠ : ١٣) لأن الذين يبصرون قليلا يتغذون باللبن ، اما الغذاء الكامل ، خبز الدراسة فيغذى ويشبع العقل ولا يسمن البطن ، فانه يقدم للذين يستطيعون فتح اعينهم العقلية جيداً كعادة مكتسبة.

لنتدبر اذن ما تضمنته هذه الكلمات : « فى تلك الساعة تقدم التلاميذ إلى يسوع قائلين فمن هو اعظم فى ملكوت السموات » ؟ (مت ١٨ : ١) .

يعلمنا النص المقدس بدقه فى قوله : « فى تلك الساعة » سبب الاستفهام . ان مخلصنا كان وقت دفع الدرهمين قد ضم بطرس الى نفسه فى قوله : « تجد استاراً فخذه وأعطهم عنى وعنك » (مت ١٧ : ٢٧) ؛ وفى الحال فى نفس ذلك اليوم ، تألم التلاميذ الآخرون من جراء أمر بشرى ، اذ سقطوا فى هوى الغيرة .

لكن ربما تقول : « دع عنك هذا ؛ هل ترى ان الرسل قد غلبهم هوى ؟ » نعم اقول ولا استحى من ذلك بتاتاً .

تدرج الرسل فى الكمال

ان الرسل بطبيعتهم كانوا هم أيضاً بشراً ، واشتركوا فى نفس الطبيعة مثلنا ، وآدم هو ابوهم الأول . وكما هو مكتوب فقد سحبوا نزعة الميل الى الشر شيئاً فشيئاً منذ الصبا ، وأخرجوا نفوسهم من الوحل بواسطة التربية العملية وتعاليم وارشادات معلمهم ، وغسلوا الانسان العتيق ؛ ومع مداومة التقدم ، صعدوا الى ارتفاع عال حتى انهم لم يبدوا بعد ذلك كبشر ولم يتركوا لنا بعد ذلك اى عذر ، نحن الذين من جنسهم ، بجبن نظهر عدم اكتراثنا واهمالنا ، ولا نصل الى نفس الدرجة ، بل لا نصل الى ظل او الى مظهر صغير جداً ، وفى هذه المسيرة نحو الأمور العلوية .

ومع ذلك فان الرسل فى ذلك الوقت ، نظراً لأن استعداداتهم كانت ناقصة جداً ، بدا عليهم حسدهم لبطرس ، وهم الذين فيما بعد وصلوا إلى درجة كبيرة من الكمال حتى انهم اعترفوا كتابة انهم ايضاً خطاة وعشارون ، وسجلوا فضائل الرسل

زملائهم فى كتاباتهم تسجيلا مثل النقش على الحجر ثباتاً .

فنحن نجد مرقس البشير قد كتم اعمال بطرس ، ولم يذكرها فى كتابه ، مثال ذلك التطويب الذى سمعه من فم المخلص حينما قال : « طوبى لك يا سمعان بن يونا . ان لحماً ودماً لم يعلن لك لكن ابى الذى فى السموات » (مت ١٦ : ١٧) ، ولا حينما قال : وانا اقول لك ايضاً انت بطرس وعلى هذه الصخرة ابنى كنيستى وابواب الجحيم لن تقوى عليها » (مت ١٦ : ١٨) ، ولاحينما قال له : « وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات . فكل ماتربطه على الأرض يكون مربوطاً فى السموات . وكل ما تحله على الارض يكون محلولا فى السموات » ، (مت ١٦ : ١٩) ، ولاحينما أمره قائلا : « اذهب إلى البحر والق سنارة والسمكة التى تطلع أولا خذها ومتى فتحت فاها تجد استاراً فخذه واعطهم عنى وعنك » (مت ١٧ : ٢٧) .

وبينما لم يذكر كل هذه الوقائع بشأن بطرس ، يذكر ضعفاته ، ان يسوع زجره فسمع كلمات : « اذهب عنى ياشيطان . انت معثرة لى لانك لا تهتم بما لله لكن بما للناس » (مت ١٦ : ٢٣) ،

وانه خاف من خادمة صغيرة ، وانه انكر السيد المسيح ثلاث مرات

فانهم كانوا على هذه الحال أولا ، ثم توصلوا بروح التواضع على قدر استطاعة البشر ، الى الاقتداء بالمسيح يسوع الله مخلصنا الذى ، اخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً فى شبه الناس ، (فى ٢ : ٧) .

عندما تخصهم فى ذلك الوقت الحسد ، اذ سمع بطرس كلمات السيد : « اعطهم عنى وعنك » ، سألوا المسيح : « فمن هو أعظم فى ملكوت السموات » . تأمل كيف تثير ضعفاتهم مسائل وعلامات تزيد الفضيلة التى كانوا يتعلمونها . انهم يتناقشون بخصوص الاولوية وبخصوص المكان الاعظم فى ملكوت السموات ، بينما نحن انفسنا لنا فيما بيننا منافسة عكسية وشريرة ، من شأنها ان تنزل الى الأرضيات وترعى فى الوحل فتجعل اشواك العالم وهمومه تنمو . من الذى يفنى بيتاً فخماً ويضيف ما ليس له على ما له أو ينهب مال القريب ؟ من الذى يأخذ بالقوة ما يغله ملك ليس له ، فى بعض الاحيان يتصرف بعنف لكى يهمد الارملة واليتيم ، انى استحى ان اذكر ايضاً الملاهى والخلافات التى يذكيها الحسد ، تلك التى تحدث اثناء مشاهدة

سباق الخيول وعلى المسرح ، وأيضاً المشاعر المضادة التى يشتركون فيها . انى ارى فعلا الذين يسلمون انفسهم لهذه الاهواء وهم ثملون فى غلوائهم لا يشعرون حتى بالأمور الارضية ، فضلا عن ضعف احساسهم بملكوت السموات .

رذيلة الحسد

ان المسيح طبيب أرواحنا ومالكها ، لم يستصوب حسد التلاميذ حتى من أجل الخير . من ناحية يحق لنا ان نكون غيورين من اجل الخير وان نتقدم ، ومن ناحية أخرى يجب أيضاً أن نفكر فى ان انتصارات اخوتنا هى انتصاراتنا ؛ لان الشيطان يجيء شباكه المستترة فى الأعمال الحسنة الظاهرة خاصة . لذلك كان قايين ايضاً ينازع اخاه طريقاً حسناً ، فكانت الضحية وعطية الله والقربان هى موضوع اهتمام قايين وهابيل ، ولكن من هذه الغيرة الحسنة ومن هذه المنافسة لأجل ما هو كامل ، يسقط قايين فى شر حسد تولد منه القتل وتدنست به اليد الأخوية ؛ وما كان ليصيبه ذلك لو لم يفكر ان مدح هابيل غريب عنه وليس له ، حباً منه فى المكان الأول وفى المجد الباطل .

ان ربنا يسوع المسيح كان يريد ان يخلع جذور هذا

الهوى من قلب رسله القديسين ، فلذلك نطق بهذه الكلمة حسب الترتيب المتبع لتأكيد الاقسام (جمع قسم) قائلا : « الحق اقول لكم ان لم ترجعوا وتصيروا مثل الاولاد فلن تدخلوا ملكوت السموات » (مت ١٨ : ٣) ماذا فى قوله : « الحق اقول لكم » ؟ أو « امين أقول لكم » . لفظة أمين مترجمة إلى اللغة اليونانية معناها «ليكن ذلك» ، فكأنه يقول « ما يلزم ان يكون اقوله لكم ، لانه ينتج عن كلماتى ان يكون هنالك شيء . ان الخلق والصنع اللذين كانا عند بدء هذا العالم يشهدان أيضاً انهما تما بالكلمة الالهية ، قال الله : « ليكن نور فكان نور » ، ليكن جلد فى السماء وسط المياه . . . الخ » (انظر تك ص ١) . فكما انه حينما كان يريد ان يبين ان كلماته لا تزول ابداً ويلقى المخافة فى آذان سامعه ، كان يقول فى الانبياء : « بذاتى اقسمت » (أش ٤٥ : ٢٣) ، « اقسمت بنفسى » (أر ٢٢ : ٥) مستعملا من أجلنا القسم حسبما يفعل البشر ، هكذا أيضاً هنا نطق بهذه الكلمة « (امين) الحق أقول لكم » بدلا من ان يقول : « اقسم بكلماتى التى يجب ضرورة ان تنتهى بالنفاذ ، وانه يجب ان تؤمنوا بها كما تؤمنون

بما هو لازم الوقوع فعلا وليس إيمـــاناً بما يقال فقط » . لذلك نحن ايضاً نضيف هكذا كلمة « امين » الى تسبحته تعالى فى كل ما يأتى منه ، ونرى ان ذلك كان وهو كائن حالياً ، ونؤمن ان ذلك يجب ان يكون ضرورة .

إنكار الانسان العتيـــق

لم يقل : « ان لم تصبحوا مثل الاطفال الصغار » ، بل « ان لم ترجعوا وتصيروا مثل الاولاد فلن تدخلوا ملكوت السموات » (مت ١٨ : ٣) . « ان لم ترجعوا » تحمل فى معناها انه يجب ان ننكر الانسان العتيق المملوء بالأهـــواء ونحيد عنه كلية ، إن نسيه احد نسياناً ليس كاملا فلا يستطيع ان يصير مثل طفل . لقد جاء المسيح فعلا لكى يطهر ايضاً ويغسل النموذج القديم ويظهر طبيعتنا طبيعة جديدة ، دون ان يكون فيها لوثه (بقعه) أو تجعيد أو شيء من هذا . لذلك كان بولس الرسول يقول : « إذا ان كان احد فى المسيح فهو خليقة جـــديدة . الاشياء العتيقة قد مضت . هوذا الكل قد صار جديداً » ؟ (٢ كو ٥ : ١٧) . فى الرجوع تنسى العادات

القديمة الشريرة . هكذا كان ايضاً داود النبي يرتل : « لا تذكر علينا ذنوب الاولين . لتتقدمنا مراحمك سريعاً لاننا قد تذللنا جداً » (مز ٧٨ : ٨) . لان عبارة « ترجعوا وتصيروا » تشير الى التحول الى حياة جديدة ، وان الحالة المختلفة التي تنتهي إلى ما هو كامل قد اعلنها لنا صموئيل النبي حينما كان يقول لشاول : « فيحل عليك روح الرب فتتنبأ معهم وتتحول إلى رجل آخر » (١ صم ١٠ : ٦) . وقال أيضاً الكتاب المقدس مؤكداً ذلك : « وكان عندما ادار كتفه لكي يذهب من عند صموئيل ان الله اعطاه قلباً آخر . وأتت جميع هذه الآيات في ذلك اليوم » (١ صم ١٠ : ٩) .

هناك أيضاً تحويل الخير إلى شر ، ذلك الذي اشارت اليه مقدماً امرأة لوط التي نظرت الى الوراء الى سدوم وأصبحت عامود ملح ، وذلك ما نهى عنه المسيح وامر به الرسل وأوصانا ان نحذر منه ونهرب منه ، حينما قال هكذا : « اذكروا امرأة لوط » (لو ١٧ : ٣٢) . وأيضاً : « ليس احد يضع يده على المحراث وينظر الى الوراء يصلح لملكوت الله » (لو ٩ : ٦٢) .

بعد أن تغير الرسل تغييراً مضاداً للتغيير الذي ذكرناه ، ولم ينظروا ابداً الى وراءهم ، ولم يعودوا لاي شيء مما للحياة القديمة — (لأن هذا هو ما تنطوي عليه هذه الكلمة ان يتغيروا ويصيحوا مثل الاطفال الصغار) — وبعد القيامة اخذوا الروح القدس من مخلصنا اذ نفخ في وجوههم فبلغوا منذ ذلك الحين الى الانسان « الجديد الذي يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه » (كو ٣ : ١٠) ، كانوا يسمعونه يقول لهم : « يا غلمان ألعل عندكم إداماً » (يو ٢١ : ٥) .

انظر كيف انه مثل طبيب قد اتاح لهم هذه الفرحة جيداً ، حتى انه لم يعد هنالك شيء يسبب الألم . لأنه لم يقل : « من يتغير ويصبح مثل هذا الطفل الصغير ، هذا يكون اعظم في ملكوت السموات » ، بل قال : « ان لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد فلن تدخلوا ملكوت السموات » (مت ١٨ : ٣) يقول : « انتم متشاجرون بخصوص الاولوية وتجلدون بالمكان الأول ، لكن احذروا فإنه يلزمكم عرق كثير واتعاب كثيرة لكي تنالوا فقط الدخول الى الملكوت » .

قال متى البشير : « في تلك الساعة تقدم التلاميذ الى يسوع

قائلين فمن هو اعظم فى ملكوت السموات . (مت ١٨ : ١) .
وقال لوقا البشير انهم فكروا من كان الاعظم . « ودخليهم
فكر من عسى ان يكون اعظم فيهم » (لو ٩ : ٤٦) . وقال
مرقس البشير انهم تكلموا فيما بينهم لكى يعرفوا من كان الاعظم.
« وجاء الى كفرناحوم . واذ كان فى البيت سألهم بماذا كنتم
تتكالمون فيما بينكم فى الطريق . فسكتوا . لانهم تحاجوا فى
الطريق بعضهم مع بعض فى من هو اعظم . (مر ٩ : ٣٣)

اختلاف الوقائع وثبوت صحتها

ان الوقائع التى يذكرها كل واحد منهم تختلف ، لكنها الثلاث كلها حقيقية وحدثت بهذا الترتيب وهذا النظام ؛ لانه أولا فكر الرسل ، ثم ثانياً تكلموا فيما بينهم كما لو كانوا يفحصون معاً ويتناقشون ، ثم ثالثاً توصلوا إلى ان يسألوا السؤال ؛ وقال كل واحد من الكتاب الحق إذ لم يذكر سوى احدى الوقائع التى تتابعت الواحدة بعد الأخرى . فليس هناك لبس بالكذب أو بأى تناقض إذا قال احدهم شيئاً بطريقة وناقصة ومختصرة ؛ انما يكون هناك تناقض اذا كان احد يقلب

روايته المضادة ما قاله آخرون ، وليس ثمة تناقض إذا كان يقول ما لم يذكروه . وذلك شأن الروايات التاريخية ، فقد يحدث كثيراً ان يروى انسان نفس الرواية لسامعين كثيرين فى اوقات مختلفة ، فلا يذكر كل شىء فى كل وقت ، بل ما لم يذكره لأحد يضيفه للآخر ، وقد يصبح ما كان واضحاً من الروايات فى زمن ما عما قليل محوطاً بالنسيان .

وقائع ما حدث فى طريق دمشق

ونستطيع ان نتبين ذلك فوراً من سفر اعمال الرسل . فان لوقا البشير الذى ذكر ثلاث مرات فى نفس السفر ما حدث على طريق دمشق ، مرة يرويه هو نفسه ، ومرتين يجعل بولس الرسول يرويه . فهو يرجع إلى نفس الاحداث بطريقة مطابقة وليست متناقضة ابداً ، ومن ناحية أخرى لزم ان يزيد أو ينقص مما قيل فى مكان آخر ، دون ان يخرج عن الحقيقة فى شىء ، ودون ان يكون هناك اى مجال للادعاء كذباً . لانه كتب احياناً : « فسقط على الأرض وسمع صوتاً قائلا له شاول شاول لماذا تضطهدنى . فقال من انت يا سيد . فقال الرب انا يسوع الذى انت تضطهده . صعب عليك ان ترفس مناخس »

(اع ٩ : ٤ - ٥) ؛ وأحياناً : فسقطت على الأرض وسمعت صوتاً قائلاً لى شاول شاول لماذا تضطهدنى . فاجبت من انت ياسيد. فقال لى انا يسوع الناصرى الذى انت تضطهده » . (اع ٢٢ : ٧ - ٨) ؛ وأحياناً انه سمع الصوت فى لغة عبرية يقول : « فلما سقطنا جميعنا على الأرض سمعت صوتاً يكلمنى ويقول بالعبرانية شاول شاول لماذا تضطهدنى . صعب عليك أن ترفس مناخس » . (اع ٢٦ : ١٤) .

وأحياناً بطريقة بسيطة بهذه العبارات : « وفى ذهابه حدث ان اقترب الى دمشق فبغتة ابرق حوله نور من السماء » . (أع ٩ : ٣) ؛ وأحياناً : « فحدث لى وأنا ذاهب ومقترب الى دمشق انه نحو نصف النهار بغتة ابرق حول من السماء نور عظيم » . (اع ٢٢ : ٦) . وأيضاً : « رأيت فى نصف النهار فى الطريق ايها الملك نوراً من السماء افضل من لمعان الشمس قد ابرق حولى وحول الذاهبين معى » (اع ٢٦ : ١٣) ؛ وحيناً : واما الرجال المسافرون معه فوقفوا صامتين يسمعون الصوت ولا ينظرون احداً » . (اع ٩ : ٧) ؛ وحيناً : « والذين

كانوا معى نظروا النور وارتعبوا ولكنهم لم يسمعوا صوت الذى كلمنى » (اع ٢٢ : ٩) .

فقد كان بين الذين يصحبونه من سمعوا الصوت ولم يروا النور ، وآخرون رأوا النور ولم يسمعوا الصوت ، فكلا الامرين حدثا على حد سواء . ان هذه الامور وأخرى مشابهة لها يمكن ان تحدث مرات كثيرة فى الروايات وهى لا تجرح الحقيقة بتاتاً . فان كان لوقا البشير وحده وهو يروى نفس الحدث ، قد رواه بهذه الطريقة المختلفة دون ان يخالف الحقيقة ، فما العجب إذا كان بشيرون كثيرون يكتب الواحد ما لم يذكره الآخر ، دون ان يرفض ما لم يروه هو نفسه أو يصفه بالتناقض ؟

يجب ان نعرف ان مرقس ولوقا كتبا ان يسوع قال للرسل : « الحقّ اقول لكم من لا يقبل ملكوت الله مثل ولد فلن يدخله » (مر ١٠ : ١٥) (لو ١٨ : ١٧) .

ضرورة الفحص وتفتيش الكتب

أفيطلب منا ان نكون كالماعز نهرف بما لا نعرف ، وعلى استعداد الا نفحص ما يختص بالكلمات المتعلقة بملكوت

السموات ؟ ليس ذلك ابداً . لان ما يقوله متى البشير يلقى ضوءاً على قوة الوصية ، انه يطلب منك ان تتغير ، فتهدم الحياة التى هرمت فى الخطايا وان تتخذ من جديد اعمال الحق الجديرة بروح مولود جديداً ، روح تجهل الخبث وهى منه براء .

ان الهوى المقصود هو الذى رام السيد ان يشفيه ، هو بالفعل الحسد ، الغيرة ، حب المجد الباطل . لذلك قدم طفلا صغيراً ، فى اصغر سن ، لا يحقد للأهانة ولا ينفخه المديح والاطراء . وبناء على ذلك قال وهو يضع امامهم المثال ويحمله بين يديه : « ومن قبل ولداً مثل هذا باسمى فقد قبلنى » (مت١٨:٥) فان من لم يعد مثل هذا الطفل ، وتعدى هذا السن أى بساطة الروح هذه ، فاصبح له الاحساس بالخبث ، فقد خسر صورة الطفل الصغير ولن يصلح مثالا ليقبل المسيح .

فى الواقع ان الذى ليس له شىء عتيق فى نفسه ، وقد تجدد مثل طفل صغير بالفضائل ، يكون متشبهاً بالمسيح بنفس الطريقة إذ يقول بولس الرسول : «فأطلب اليكم ان تكونوا متمثلين بى» (١ كو ٤ : ١٦) ، «كونوا متمثلين بى كما أنا أيضاً بالمسيح» (١ كو ١١ : ١) ؛ ومثل يوحنا الذى كتب : «اجاب يسوع

وقال له الحق الحق اقول لك ان كان احد لا يولد من فوق لا يقدر ان يرى ملكوت الله» (يو ٣ : ٣) .

وانما قدم مثل الطفل الصغير ، لكى ينأى بنا من الشر ويكبح جماح الكبرياء ، وليس لكى يبين الفهم والحكمة اللذين نجابه بهما كلمات الايمان وبشارة ملكوت السموات . فقال هنا ميزاً بوضوح : «فمن وضع نفسه مثل هذا الولد فهو الاعظم فى ملكوت السموات» (مت ١٨ : ٤) وفى مكان آخر : «ها أنا ارسلكم كغنم فى وسط ذئاب . فكونوا حكماء كالحيات وبسطاء كالحمام» (مت ١٠ : ١٦) . فبخصوص الرأس الذى هو الايمان ، يجب ان نستعمل الحكمة ، على مثل الثعبان الذى يحذر من ان يصاب فى رأسه ، دون ان يهتم كثيراً حينما يصاب فى اعضائه الأخرى ؛ ويجب ان نتمثل بوداعة الحمام ، كما قلت ، فى ان ننأى عن الشر وبأساليب العمل التى نباشرها فى الحياة .

ان بولس الرسول كان يتمسك بهذا التصنيف وهذا التمييز اذ كتب إلى أهل كورنثوس : «ايها الاخوة لا تكونوا

اولاداً فى اذهانكم بل كونوا أولاداً فى الشر . وأما فى الاذهان فكونوا كاملين » (١ كو ١٤ : ٢٠) . ان الله ولو انه قد أخفى غنى السر العظيم عن الحكماء والفهماء فأعلنه لنا ، بينما نحن اطفال صغار : « فى ذلك الوقت اجاب يسوع وقال احمدك ايها الآب رب السماء والارض لانك اخفيت هذه عن الحكماء والفهماء واعلنتها للاطفال » (مت ١١ : ٢٥) ، الا إنه يدفعنا بذلك إلى كمال الافكار .

ان الحكمة بعد ان مزجت زجاجة التعليم ، واعدت المائدة الروحية ، كانت تصيح بصوت عال : « من كان جاهلا فليلتفت الى » ، وكانت تقول لناقصى الفهم: «تعالوا كلوا خبزى واشربوا خمرى التى مزجته لكم » ، فهى لا تأمر ان يستمر المدعوين فى جهلهم ، وأى منفعة تكون اذن وراء هذه الدعوة أو هذا الغذاء ؟ ، لكنها تزيد : « اتركوا الخافة واحيوا ، اطلبوا الحكمة لتحيوا ، وبالمعرفة قوموا العقل . » الحكمة بنت بيتها . نحتت اعمدتها السبعة . ذبحت ذبحها مزجت خمرها . ايضاً رتبت مائدتها . . . (أم ٩ : ١ - ٢) . « من هو جاهل فليمل الى هنا .

والناقص الفهم قالت له : « هلموا كلوا من طعامى واشربوا من الخمر التى مزجتها . اتركوا الجهالات فتحيوا وسيروا فى طريق الفهم » (أم ٩ : ٤ - ٦) .

لانه إذا كنا بذلك قد أمرنا ان نتبع حالة الطفل الصغير ، فكيف كان بولس الرسول يقول : « لكننا نتكلم بحكمة بين الكاملين ولكن بحكمة ليست من هذا الدهر ولا من عظماء هذا الدهر الذين يبطلون . بل نتكلم بحكمة الله فى سر ، الحكمة المكتومة التى سبق الله فعينها قبل الدهور لمجدنا » . (١ كو ٢ : ٦ - ٧) . لانه من عرف فكر الرب فيعلمه . واما نحن فلنا فكر المسيح » (١ كو ٢ : ١٦) وايضاً : « الذى بحسبه حينما تقرأونه تقدرون ان تفهموا درايتى بسر المسيح » (اف ٣ : ٤) .

يليق بنا ان نبحث لماذا لم يكتف ربنا والهنا يسوع المسيح بان يقول لتلاميذه : « ان لم تتغيروا وتصيروا مثل اطفال صغار » ، بل لماذا بعد ان احضر اولا هذا الطفل الصغير ، اقامه فى وسطهم ، ولماذا كان يستعمل الكلمات هكذا . وذلك لانه

كان يريد ان يوضح لهم جلياً ويجعل تعليمه واضحاً جداً ، ولكي يمس الواقع وعلى الخصوص يكشف الهوى ويضع الدواء امام اعينهم . ونرى الانبياء ايضاً كثيراً ما كانوا يفعلون افعالا مماثلة لنفس هذا السبب :

نرى ارميا النبي يكسر آنية خزاف (ارميا ، اصحاح ١٩) بينما ينظر اليه اولئك الذين كانت كلمات النبـــوة تخصهم . « ثم تكسر الاباريق امام اعين القوم الذين يسيرون معك » (أر ١٩ : ١٠) .

ومرة نرى حزقيال النبي يرسم اورشليم على لبنه ، ومرة أخرى يأخذ مجمرة من حديد فى يده ، ومرة يحلق شعر رأسه وذقنه ويرمى بعضه فى النار ، ثم يقص بعضه قليلا قليلا ويذر منه فى الهواء ، لكى يبين حال الأسر فى اورشليم وحريقها ، وقتل سكانها ، وان الذين يبقون فيها لا بد ان يتفرقوا وتحملهم الرياح الى كل مكان الى اقاصى الأرض .

« وانت يا ابن آدم خذ لنفسك سكيناً حاداً موسى الحلاق تأخذ لنفسك واسرها على رأسك وعلى لحيتك . وخذ لنفسك ميزاناً للوزن واقسمه . واحرق بالنار ثلثه فى وسط المدينة إذا

تمت ايام الحصار وخذ ثلثاً واضربه بالسيف حواليه وذر ثلثاً إلى الريح . وانا استل سيفاً وراءهم وخذ منه قليلا بالعدد وصره فى اذيالك . وخذ منه ايضاً والقه فى وسط النار واحرقه بالنار . منه تخرج نار على كل بيت اسرائيل » (حز ٥ : ١-٤)

« وانت يا ابن آدم خذ لنفســـك لبنة وضعها امامك وارسم عليها مدينة اورشليم . واجعل عليها حصاراً وابن عليها برجاً واقم عليها مترسة واجعل عليهـــا جيوشاً واقم عليها مجانق حولها . وخذ انت لنفسك صاجاً من حـــديد وانصبه سوراً من حديد بينك وبين المدينة وثبت وجهك عليها فتكون فى حصار وتحاصرها . تلك آية بيت اسرائيل » (حز ٤ : ١ - ٣) .

ويحمل القول ، ان الرب من أجل رحمته منحهم العودة الى بابل . وبنفس الكيفية اقام الرب يسوع رب الانبياء طفلا صغيراً فى وسطهم حتى لا يحسب هوى الغيرة أمراً بسيطاً ، لكنه الشرارة التى تشعل كل حريق منه كان الحسد والقتل كما فعل قايين .

وهو ايضاً يرهب حينما يستأنف الكلام ويقول : « ومن اعثر احد هؤلاء الصغار المؤمنين بي خير له ان يعلق في عنقه حجر الرحى ويغرق في لجة البحر » (مت ١٨ : ٦)

ان الغيرة يمكن ان تؤدي بشخص حتى الى قتل اخيه . لكن المسيح يقول انه إذا كان أحد بسبب غيرته أو بسبب هوى آخر ، يعثر اخاه ويجعله يسقط ، فسوف يعاقب عقاباً شديداً أيسر منه له ان يعلق في عنقه حجر رحى ويطرح في البحر ويهوى إلى قاع البحر . لقد استعمل هذا المثل فعلا لأنه كان يريد ان يبين شدة العذاب الذي يصيب من كان شريراً وصار سبباً للعاثر .

يبدو ان هذه الكلمة شبيهة بقوله : « قد سمعتم انه قيل للقدماء لا تقتل . ومن قتل يكون مستوجب الحكم . واما انا فاقول لكم ان كل من يغضب على أخيه باطلا يكون مستوجب الحكم . ومن قال لاخيه رقا يكون مستوجب المجمع . ومن قال يا احمق يكون مستوجب نار جهنم » (مت ٥ : ٢١ - ٢٢) .

فقال : هؤلاء الصغار المؤمنين بي » ، ليس لكي نفهم انه

لا خطورة في أن نعثر الذين لا يؤمنون بلا سبب ، لانه حسب وصية بولس الرسول يجب ان نكون بلا عثرة لليهود وللامم ولكنيسة الله . « كونوا بلا عثرة لليهود ولليونانيين ولكنيسة الله » . (١ كو ١٠ : ٣٢) . ولكنه قال ذلك لكي يحمل الاتهام بالتحزب امامهم اكبر واثقل . وفي الواقع هو يقول : لا تفتكروا وقد تصرفتم بدافع الحسد نحو بطرس ، انى لهذا حزين وانطق بهذا الألم ؛ فانه حتى لو كان الامر يتعلق باصغر واحد ممن يؤمنون بي ، فمع ذلك يجب ان تستحوا من اجل وحدانية شركة الايمان ، حتى وان لم يكن من أجل شيء آخر .

هكذا كان بولس الرسول يقول لأهل كورنثوس : « فالآن فيكم عيب مطلقاً لان عندكم محاكمات بعضكم مع بعض . لماذا لا تظلمون بالحرى . لماذا لا تسلبون بالحرى . لكن انتم تظلمون وتسلبون وذلك للأخوة » . (١ كو ٦ : ٧ - ٨) . ان هذه الكلمة : « وذلك للأخوة » تتضمن فعلا مزيداً من الاتهام ؛ وهو لا يسمح بسبب تمييز بين البعض بان نسيء التصرف نحو الذين هم ليسوا اخوة ، ولو ان العقوبة تكون

اشد للذين اعثروا اخوتهم ، لانه لا تمسكهم حق وحدانية شركة التبنى الالهى ، والنعمة ، والكرامة ذاتها ، والخبز الوحيد السرى .

الويل لمن تأتى به العثرة

وبعدما القى المسيح المخافة فى قلوب الرسل بما فيه الكفاية بكل ما قيل ، وليس فقط الرسل ولكن أيضاً الذين يقرأون هذه الكلمات ، زاد فجعل من التهديد أمراً عاماً ، اذ صاح بحزن قائلا : « ويل للعالم من العثرات . فلا بد ان تأتى العثرة ولكن ويل لذلك الانسان الذى به تأتى العثرة » (مت ١٨ : ٧) . انه يقول ، لستم انتم ايها الرسل الذين اقول لكم هذا ، لكنى اقوله لكل الجنس البشرى ايضاً . حينما اترك الكلام عن الحسد الذى اظهر تموه الآن بعضكم لبعض واخص بكلمتى سقوط الطبيعة البشرية الذى حدث بالحيلة ، حينئذ احزن وأئن . « لأن الله خلق الانسان فى عدم البلى وصنعه على مثال صورته . وبحسد المحتال دخل الموت الى العالم » (حكمة ٢ : ٢٣ - ٢٤) ، لان آدم ، الانسان الاول ، قد خدع واطاع وصية الوسواس التى املاها الحسد . كذلك اشتهيتم المكان الأول فى ملكوت

السموات حينما زعزعكم هوى المجد الباطل . لقد اشتهى ذاك اشياء اعظم حينما ظن انه اذا أكل من تلك الشجرة بالرغم من الوصية الالهية ، سوف يكون مثل الله ، لان ذلك ما كان اغراه به ذاك الذى خدعه .

من هنا أتى أيضاً حسد قايين . فبعد ان تملكته محبة المجد الباطل ، واثارته درجة التفضيل التى اختص بها أخوه ، سقط فى عثرة الحسد وفى دنس القتل الذى يأتى من الحسد . لاننا نسمى الابتعاد عن الطريق المستقيم والترنح على القدمين عثرة ، كما قد يحدث من حركة طارئة ، كأن يخطو أحد فى ظل فوق احد قدميه ويتعرض للسقوط فى حفرة : هكذا بالفعل تكون المعثرة بالحقيقة التى فيها السقوط والخطر من كل جانب وتنأى بالمرء عن الأفكار السليمة ، مثلا حينما انتقل قايين من الذبيحة والرغبة فى الشعور بعثرة الله الى الحسد .

فى كل مرة يفعل فيها الانسان عملا شريراً ويخطط ضد قريبه بمكر مكتوم ، لا يكون السبب فى ضرر ذاك الذى أثار المعثرة فحسب ، بل كما يحدث كثيراً ، يكون السبب فى ضرر ذاك الذى اثيرت المعثرة ضده ايضاً . فاذا ؟ لو كان هابيل خشى

الحسد وقتل هو اولا اخاه ، الا يكون قد اضر بنفسه ، بعد ان يكون قد انتصر على الحاسد بهذا الانتصار الملىء بالشر ؟

لذلك قال النبي المرتل وكأنه يشرح العثرة : « احفظني يارب من يدى الشرير . من رجل الظلم انقذني . الذين تفكروا فى تعثير خطواتى . اخفى لى المستكبرون فخاً وحبالا . مدوا شبكة بجانب الطريق . وضعوا لى شراكاً » (مز ١٤٠ : ٤ - ٥) انها موضوعة فعلا بالقرب من طريق الفضائل ، وهى تعرقل الخطى بسهولة وتجعل من كان غير ساهر يعثر وهى تبدو كثيراً فى مظهر الخير مثل الشيطان الذى يتحول الى ملاك نور .

ضلالة الحاسدين

بنفس الطريقة كان اليهود يظنون انهم يجاهدون من أجل الناموس ، وكانوا ينطقون ضد يسوع بالحكم الذى هو تجديف ، فكانوا ناقصى الفهم لدرجة انهم تخطوا كل الحدود فى حسدهم الاله المتأنس فصلبوه ومات ودفن فى القبر ثم قام من بين الأموات ، فبينت القيامة انه كان يستطيع إن يذهب ولا يدعهم يمسكونه .

ان ضد المسيح سوف يأتى أيضاً بسبب العثرات فى الساعة الاخيرة وسط قلق هذا العالم ، كما هو مكتوب فعلا : « ولكثرة الاثم تبرد محبة الكثيرين » (مت ٢٤ : ١٢) . هو أيضاً سوف يكون وسط العثرات ، لانه سيقوم مسحاء كذبه وأنبياء كذبه ويعطون آيات عظيمة وعجائب حتى يضلوا ان امكن المختارين ايضاً (مت ٢٤ : ٢٤) . ولما كان مخلصنا يعلم ذلك مقدماً لذلك كان يقول : « ويل للعالم من العثرات . فلا بد ان تأتى العثرات ولكن ويل لذلك الانسان الذى به تأتى العثرة » (مت ١٨ : ٧) .

فاذا كان لا بد ان تأتى العثرات ، فكيف يلام اذن من يعثر إذا كان مدفوعاً ، وما يحدث من اجل الضرورة يستحق المغفرة ولا يكون صاحبه خاضعاً للاتهام ؟

ذلك لان الذين يعثرون قد زرعوا العثرات قسراً وهم اولا رموا بذار اصابها حتى تصيب العثرات . ومثلا . قد يقول الطبيب وهو يرى مريضاً اصابه المرض بسبب ما ، ثم اشتدت عليه العله حتى اوشك ان يصل به إلى الجنون : « الويل لمن كان مريضاً بسبب الجنون » . هنا فى الواقع لا ننادى بالويل

والشرور لظرف هذا المرض القاسي ، بل بما كان سبب الجنون لا يقول احد ان ضرورة العثرات مرتبطة بطبيعتنا وهي من نصيبنا نرثها بمولدنا ، فلم يقل ربنا : « الويل للجنس البشري » ، بل : « الويل للعالم » بما اعتاده من المعيشة التي تتمسك بالخطايا ، ثم الويل لأولئك الذين يعيشون تلك المعيشة . لذلك كان يقول ايضاً لتلاميذه : « لو كنتم من العالم لكان العالم يحب خاصته . ولكن لانكم لستم من العالم بل انا اخترتكم من العالم لذلك يبغضكم العالم » (يو ١٥ : ١٩) .

دينونة العالم

كان الرسل أيضاً جزءاً من البشر الذين يعيشون في العالم ؛ لكن لانهم لم يكونوا عائشين في الخطايا ، لم يكونوا من العالم . وكتب أيضاً يوحنا : « لان كل ما في العالم شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظم المعيشة ، ليس من الآب بل من العالم » . (١ يو ٢ : ١٦) . وأيضاً : « نعلم اننا نحن من الله والعالم كله قد وضع في الشرير » (١ يو ٥ : ٩) لذلك دعى المخادع رئيس

العالم . « الان دينونة هذا العالم . الآن يطرح رئيس هذا العالم خارجاً » . (يو ١٢ : ٣١) ، نظراً لأنه أس الخطية ورئيسها .

فاذن ليست طبيعة الانسان سبب العثرات ، لكنه العالم ، اي المعيشة الشريرة البائسة المتمسكة بالخطايا ومرض الفكر . فانه بالحقيقة السيد المسيح له المجد يقصد العالم إذ يقول : « لا بد ان تأتي العثرات » (متى ١٨ : ٧) .

وبولس الرسول ايضاً حينما رأى منازعات عند اهل كورنثوس قال : « لانه لا بد ان يكون بينكم بدع ايضاً ليكون المزكون ظاهرين بينكم » (١ كو ١١ : ١٩) . يزهر النبات من الحبوب ، ذلك ما لا بد ان يحدث ضرورة .

وهكذا قال مخلصنا ، عندما كان ينوه إلى حسد التلاميذ لبطرس ، هذه الكلمة المتعلقة بالعثرات وهو يبين ان العثرات لا تولدها الكراهية نحو الاخوة فحسب ، بل المحبة الشريرة ايضاً ؛ يقدم الدواء الشافي من المرض الناتج من الحسد فيقول في الكتاب : « فان اعثرتك يدك او رجلك فاقطعها والقها

عنك . خير لك ان تدخل الحياة أعرج أو اقطع من ان تلقى
فى النار الأبدية ولك يدان أو رجلان . وان اعثرتك عينك
فاقلعها والقها عنك . خير لك ا ، تدخل الحياة اعور من أن
تلقى فى جهنم النار ولك عينان » (مت ١٨ : ٨ - ٩) .

علاج الحسد والعثرات

انه تعالى يجعل ذلك قانوناً بخصوص الأمراض التى تحكمها حالة اليد والعين ، لانك ان لم تقطع الجزء المريض ، فلست تخسر نفسك فحسب ، بل انك لن تخلص عضوك . لنكن فعلا كالأعضاء بعضاً لبعض . وأوصى بذلك بولس الرسول اذ قال . « لذلك اطرحوا عنكم الكذب وتكلموا بالصدق كل واحد مع قريبه . لأننا بعضنا اعضاء البعض » (اف ٤ : ٢٥) . ما هو العجب فى هـذا العلاج ؟ ان العهد القـديم يوصى ويأمر اذا كان احد يعثر بالا يقطع فقط بل يقتل أيضـاً . وفى كتاب التثنيه كتب موسى : وإذا اغواك سراً اخوك

ابن امـك او ابنك او ابنتك أو امرأة حضنك أو
صاحبك الذى مثل نفسك قائلا نذهب ونعبد آلهة الشعوب
الذين حولك القريبين منك أو البعيدين عنك من اقصاء الأرض
الى اقصائها ، فلا ترض منه ولا تسمع بل قتلا تقتله . يدك
تكون عليه أولا لقتله ثم ايدى جميع الشعب اخيراً ترجمه
بالحجارة حتى يموت . لانه التمس ان يطوحك عن الرب الهك
الذى اخرجك من ارض مصر من بيت العبـودية . »
(تث ١٣ : ٦ - ١٠) .

امر مخلصنا ان نقطع هذه الاعضاء حينما تعثرنا ، لانه فى بهاء القيامة فى ملكوت السموات سوف تأخذ الطبيعة ما هو كامل ، وهناك لن يكون شخص اعور أو اعرج او ناقص فى جسده أو تكون اعضاؤه مصابة بجرح آخر . لانه لو كان الامر كذلك ، لكان الشهداء الذين قطعت اعضاؤهم واحداً واحداً يبقون بلا جسد . فان القيامة فعلا هى عود جديد الى الحالة الاولى ؛ لانه مكتوب : ترسل روحك فتخلق وتجـدد

وجه الارض » (مز ١٠٤ : ٣٠) . ايشكل الفخارى اناء جيداً ، والله الذى يشكل خليقته من جديد يتركها ناقصة الاعضاء الرئيسية ؟

ما دمنا نعرف ذلك ، فلنهرب اذن من الحسد وعجبة المجد الباطل والمشاعر الشريرة التى يكرهها الله ، حتى نخلص تماماً من العثرات ، ونتنال ملكوت السموات بالمسيح يسوع ربنا الذى يليق له المجد مع ابيه الصالح والروح القدس الآن وكل أوان والى دهر الداهرين آمين .